

قرى الضيف

على العرض والحسب ولا على الدين والأدب ولا بد للنعمة من عودة ولا بد لعين الكمال من رقية ولأن يكون في دار تبني ومال يجبر وينمى خير من أن يكون في النفس التي لا جابر لكسرهما ولا نهاية لقدرهما .

فصل في ذكر الرمد .

صادف ورود الكتاب رمدا في عيني حتى حصرني في الظلمة وحبسني بين الغم والغمة وتركني أدرك بيدي ما كنت أدرك بعيني كليل سلاح البصر قصير خطو النظر قد ثكلت مصباح وجهي وعدمت بعضي الذي هو أثر عندي من كلي فالأبيض عندي أسود والقريب مني مبعد .

قد خا ط الوجع أجفاني وقبض عن التصرف بناني .

ففراغي شغل ونهاري ليل وطول الحاطي قصار وأنا ضير وإن عدت في البصراء .

وأمي وإن كنت من جملة الكتاب والقراء .

قصرت العلة خطوتي قلمي وبناني وقامت بين يدي ولساني .

وقد كانت العرب تزاج بين كلمات تتجانس مبانيها وتتكافأ مقاطعها ومعانيها فيقولون القلة ذلة والوحدة وحشة واللحظة لفظة والهوى هوان والأقارب عقارب والمرض حرص والرمد كمد والعلة قلة والقاعد مقعد .

فصل في مدح الفقر .

وإنما يكره الفقر لما فيه من الهوان ويستحب الغنى لما فيه من الصوان فإذا نبغ الغم من تربة الغنى فالغنى هو الفقر واليسر هو العسر لا بل الفقير على هذه القضية أحسن من الغني وأقل منه أشغالا لأن الفقير خفيف الظهر من كل حق منفك الرقية من كل رق فلا يستبطئه إخوانه ولا يطمع فيه جيرانه ولا تنتظر في الفطر صدقته ولا في النحر أضحيته ولا في شهر رمضان مائدته ولا